تفسير ابن كثير

يقول تعالى { لهم فيها زفير وشهيق } قال ابن عباس الزفير في الحلق والشهيق في الصدر أي تنفسهم زفير وأخذهم النفس شهيق لما هم فيه من العذاب عياذا با من ذلك { خالدين فيها ما دامت السموات والأرض } قال الإمام أبو جعفر بن جرير : من عادة العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبدا قالت هذا دائم دوام السموات والأرض وكذلك يقولون هو باق ما اختلف الليل والنهار وما سمر أبناء سمير وما لألأت العير بأذنابها يعنون بذلك كله أبدا فخاطبهم جل ثناؤه بما يتعارفونه بينهم فقال : { خالدين فيها ما دامت السموات والأرض } (قلت) : ويحتمل أن المراد بما دامت السموات والأرض الجنس لأنه لا بد في عالم الاخرة من سموات وأرض كما قال تعالى { يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات } ولهذا قال الحسن البصري في قوله : { ما دامت السموات والأرض } قال : يقول : سماء غير هذه السماء وأرض غير هذه فما دامت تلك السماء وتلك الأرض وقال ابن أبي حاتم ذكر عن سفيان بن حسين عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس قوله : { ما دامت السموات والأرض } قال : لكل جنة سماء وأرض وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ما دامت الأرض أرضا والسماء سماء وقوله { إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد } كقوله { النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء ا إن ربك حكيم عليم } وقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء على أقوال كثيرة حكاها الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في كتابه زاد المسير وغيره من علماء التفسير ونقل كثيرا منها الإمام أبو جعفر بن جرير C في كتابه واختار هو ما نقله عن خالد بن معدان والضحاك وقتادة وابن سنان ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن أيضا أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم ا من النار بشفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والمؤمنين حتى يشفعون في أصحاب الكبائر ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين فتخرج من النار من لم يعمل خيرا قط وقال يوما من الدهر لا إله إلا ا كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم بمضمون ذلك من حديث أنس وجابر وأبي سعيد وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة ولا يبقى بعد ذلك في النار إلا من وجب عليه الخلود فيها ولا محيد له عنها وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديما وحديثا في تفسير هذه الاية الكريمة وقد روي في تفسيرها عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة وعبد ا بن عمرو وجابر وأبي سعيد من الصحابة وعن أبي مجلز والشعبي وغيرهما من التابعين وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الأئمة في أقوال غريبة وورد حديث غريب في معجم الطبراني الكبير عن أبي أمامة صدي بن عجلان الباهلي ولكن سنده ضعيف

وا أعلم وقال قتادة : ا أعلم بثنياه وقال السدي هي منسوخة بقوله { خالدين فيها أبدا }